الشباب والمحيط الاجتماعي:

يشهد مجتمعنا المعاصر تغيرات اجتماعية واسعة النطاق في عمقها واتجاهاتها ونتائجها، وليس من شك أن أكثر ما يعنى به المشتغلون بالقضايا الاجتماعية، هو كيف نستطيع أن نخضع هذا التغير لتوجيه يسهم في تحقيق مزيد من التقدم والنجاح والاشباع لحاجات الجماهير العريضة من هذا المجتمع، ثم إن القضية الرئيسية الأخرى في هذا المجال هي إلى أي حد يمكن لهذه التغيرات أن تجعل المجتمع الجزائري يخرج من الأزمات التي يعيشها وأكثر هذه الأزمات إلحاقا وشمولا هي أزمة التخلف والتبعية.

والسؤال الحاسم في هذا الصدد مؤداه: من هم أولئك الذين تقع عليهم مسؤولية تحمل أعباء الدور الطبيعي في عملية التغيير وإعادة البناء التي يحتاجها الخروج من هذه الأزمة؟ إن الاجابة تنحصر في أن جيل الشباب هو الجيل القادر والمزود بإمكانيات المساهمة في هذه العملية، ولذلك علينا تناول مفهوم الثقافة والتنشئة الاجتماعية والعلاقة بين الشباب والسياق المجتمعي الأشمل ومعرفة مواقف الشباب من العالم المحيط به، وكيف يختلفون في توجهاتهم واتجاهاتهم نحوه تبعا لسيرورة التنشئة الاجتماعية التي يخضعون لها وفقا للتغيرات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع.

وهنا يتعلق الأمر ببحث ينطوي على اتساع كبير يشتمل الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وفق تصور سوسيولوجي شامل يمكننا من أن نستوعب أكبر عدد من العوامل والقوى المؤثرة والمتحكمة في عالم الشباب.

إن المكانة المعاصرة التي يشغلها الشباب في كافة المجتمعات يمكن النظر إليها بوصفها نتاج للتغيرات الاجتماعية والسياسية والديمغرافية والتعليمية والتربوية التي شهدها القرن العشرين، كما أنها تحددت من خلال الفلسفات المعاصرة والتيارات السياسية والثقافية، حتى أن معدل التغير الاجتماعي يتأثر مباشرة بأوضاع الشباب في المجتمع والوظائف المتعددة التي يؤديها الشباب في مختلف قطاعاته وأشكال واستجاباتهم للواقع كالانحرافات والثقافات الانعزالية

والحركات السياسية للشباب، والثورات الطلابية مختلف نماذج الامتثال والتكامل مع النسق القيمي السائد في المجتمع ومظاهر الرفض الذي يبديه الشباب للمعايير والقيم والسلطة والتوجيه الذي يمارسه الكبار من خلال القيم الجديدة التي يتبناها الشباب والتي عادة ما تدخل في مواجهة مع ما هو سائدة من قيم تقليدية، ولهذا يعد الشباب مصدر التغير الثقافي والاجتماعي في المجتمع ككل، ولا أدل على هذا هو الشعار الذي رفعه الطلبة في ثورة ماي 1978 بفرنسا مؤداه "الثورة البورجوازية ثورة قانونية، والثورة البروليتارية ثورة اقتصادية، أما ثورتنا فهي ثورة ثقافية نفسية"، هذا الشعار يبين لنا ما يعيشه الشباب من ظروف نفسية تتسم القلق والاقدام حينا، والرغبة في المشاركة والقدرة على الانجاز أحيانا، فضلا عن حاجاتهم الماسة إلى تأكيد مكانتهم داخل بناء المجتمع، وإدراكهم لكثير من القيم والاتجاهات الجديدة التي يرون ضرورة زرعها وتبنيها لتحل محل النظام التقليدي القائم.

مكانة الشباب في المجتمع المعاصر:

لعلنا قبل أن نحدد مكانة الشباب في المجتمع المعاصر يجب أن نلقي بعض الضوء على ما يعنيه مفهوم الشباب، ونبادر بالقول بأن هناك أكثر من اتجاه فيما يتعلق بتحديد مرحلة الشباب، حيث هناك اتجاه يميل إلى الاعتماد على البعد الزمني وحسبه فإن فترة الشباب تبدأ مثلا من السادسة عشر حتى الخامسة والعشرين وهي الفترة التي يكتمل فيها النحو العقلي والجسمي على نحو يجعل المرء قادرا على آداء وظائفه المختلفة وهذا المفهوم يعتمد إطارا بيولوجيا كما هو واضح، وبالتالي فهو يتجاهل حقيقة هامة كون الشباب يمثل حقيقة اجتماعية أكثر منها ظاهرة بيولوجية. مقابل اتجاه آخر يأخذ بعين الاعتبار معيار النضج والتكامل الاجتماعي للشخصية حيث يحدد أصحاب هذا الاتجاه مجموعة من المواصفات أو الخصائص التي تطبق كمقياس على أفراد المجتمع بحيث نستطيع أن نميز الشباب عن غيرهم من الفئات بغض النظر عن الفئة العمرية.

والواقع أن التصور الصحيح عن الشباب ينبغي أن يأخذ في عين الاعتبار هذين المعيارين في آن واحد، ومن ثم يمثل الشباب في المجتمع فئة عمرية تتسم بعدد من المواصفات والقدرات الاجتماعية والنفسية المتميزة، وتختلف بداية هذه الفئة العمرية ونهايتها باختلاف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع، وهكذا لا تمثل مرحلة الشباب مرحلة نمو مفاجئ، وإنما هي استمرار طبيعي لعملية التنشئة الاجتماعية التي تبدأ منذ مرحلة الطفولة المبكرة وتستمر خلال كل مراحل الحياة وهي ترتبط أساسا بفكرة المسؤولية، إذ لا يصبح الشباب مكتملا أو ناضجا إلا أن تحمل مسؤولية محددة وهكذا يتعين أن يهيئ النظام الاجتماعي والاقتصادي القائم مجالات أوسع للعمل والنشاط تصلح للشباب الذين تقع عليهم المسؤولية الكبرى في بناء المجتمع، ومن سمات هذه العملية اختيار المهنة والبدء في ممارسة العمل والنشاط والقدرة على القيام بالأعمال الإدارية المختلفة وأداء الخدمة العسكرية وممارسة الحقوق السياسية والمسؤولية الكاملة أمام القانون والمسؤولية الأسرية وأن يحدد مبادئه وآرائه.

وهناك عدة اعتبارات ينبغي الاهتمام بها حينما نفحص مكانة الشباب في المجتمع المعاصر وتتلخص هذه الاعتبارات فيما يلي:

1- التطور الذي طرأ على دور الشباب في الحياة الاقتصادية للمجتمع وفرص التعليم المتاحة أمامهم، إذ أن من الملاحظ أن هناك ارتباطا بين الدور الاقتصادي للشباب وفرص التعليم والتكوين، وما يدل على ذلك تعاظم الدور المؤثر لجماهير الطلاب في المجتمع المعاصر بحيث أصبحوا يشكلون جماعة كبيرة ذات قوة ضاغطة.

2-الشباب بحكم تكوينهم النفسي والاجتماعي، يتجهون نحو رفض المعايير والمستويات والتوجيهات والسلطة التي يمارسها الكبار وأحيانا ما يتخذون موقفا عدائيا نحوهم، ويرجع ذلك إلى محتوى الذات الاجتماعية عند الشباب، فالتعارض بين الذات المثالية والذات الواقعية يؤدي إلى عدم الاستقرار في شخصية الشباب.

3- إن الشباب يعبر عن تلك الفئة التي تتسم بأعلى درجة من النشاط والحيوية لما لها من خواص دينامية متفردة، غير أن الشباب عادة لا يدرك أن الوسط الاجتماعي المحيط به ليس نتاج نشاطه فحسب إنما هو نتاج للأنشطة قامت وتحمل مسؤوليتها الأجيال السابقة، ولهذا يتجاهل الشباب الحقيقة التي مؤداها أنه نتاج نشاطه فحسب إنما هو نتاج لأنشطة قامت بها وتحمل مسؤوليتها الأجيال السابقة له، ولهذا يتجاهل الشباب الحقيقة التي مؤداها أنه نتاج للمجتمع الذي يعيش فيه وقد تكون الظاهرة هي المسؤولة عن هذه الصراعات والتناقضات بين الأساليب التقليدية للحياة والأساليب الجديدة التي يسعى الشباب إلى توكيدها.

4-يمثل الشباب مصدرا أساسيا في مصادر التغير في المجتمع على أن يؤخذ في الاعتبار كيفية استيعاب الرغبة الكبيرة عندهم في التغير والتجديد من جانب النظام القائم دون خلق تناقضات أو صراعات حادة.

5-يميل الشباب إلى تطوير نسق ثقافي خاص بهم عبر عنه مفهوم "ثقافة الشباب" أي تلك العناصر الثقافية التي انبثقت تاريخيا والتي تعبر في المقام الأول عن مصالح الشباب واحتياجاتهم ورغبتهم في التغيير والتجديد ورفض كل ما تقليدي، وفي بعض الأحيان تعبر عن ثقافة مضادة من الشباب تعكس الأزمات الناتجة عن انهيار التضامن الاجتماعي بسبب التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية الواسعة النطاق في المجتمع الحديث.

6-من أجل إقامة هيكل ثقافي مناسب يجب أن نضع في اعتبارنا هذا أهداف الشباب واحتياجاتهم ووضوح المستقبل أمامهم من خلال تدعيم مشاركتهم في الحياة العامة.

7-ينبغي العمل بكل جهد على دعم انتماء الشباب للنظم الاجتماعية القائمة في المجتمع على نحو يمكن معه الاستفادة من طاقاتهم في التجديد والتغيير دون انهيارات كيفية تصيب بنائه، لأن شعور الشباب بالاستبعاد أو التحرر المطلق أو افتقارهم للانتماء يمكن ان يكون سببا رئيسيا من أسباب التمرد والاستياء الذي يعبر عنه الشباب بصورة مختلفة عادة ما تكون غير وظيفية.

8-سرعة معدلات التغير الاجتماعي تفصل الشباب وتعزلهم اجتماعيا، مما يولد الاحساس بالاغتراب واللامبالاة بالتيارات الرئيسية للحياة العامة والانعزال عن العديد من المواقف التاريخية في المجتمع.

9- إن انعدام الانتماء بين الشباب يرتبط ارتباطا وثيقا بعدم قدرتهم على اتخاد سلوك آبائهم نموذجا لسلوكهم، ويولد بالتالي صراع وتوتر بين قيم الآباء وقيم الأبناء، إلا أن هذا الصراع لا يجب أن يرتقي بأية حال إلى مرتبة الصراع الاجتماعي.

10-للنظام السياسي القائم دوره الحاسم في استيعاب تحركات الشباب وحمايتهم من الأخطار التي تهددهم في المجتمعات المعاصرة، وذلك بدعم روح الجماعة والتعاون وتعميق الروابط الانسانية بين الشباب وباقي فئات المجتمع.

فلا يوجد هناك ما يمنع من أن يلجأ النظام السياسي إلى العنف لكي يقمع بالقوة حركات الرفض والتمرد التي تعبر عن يأس وضياع وتكون مصدر هدم وتخريب للمجتمع، فهدف القمع في هذه الحالة هو حماية المجتمع والشباب في آن واحد.

11-قد يسعى النظام السياسي إلى جذب الشباب بعيدا عن مواقع النضال الاجتماعي أو الاقتصادي أو الأهداف السياسية ومن ثم عزلهم عن السياسة العامة في المجتمع مثل ما يحث في بعض الدول الرأسمالية.

العوامل الاجتماعية لاكتساب الأدوار الاجتماعية للشباب:

تمثل الأدوار الاجتماعية للشباب أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع الذي يعد بهيئاته ومنظماته المختلفة مسؤولا إلى حد كبير عن دعم هذه الأدوار، والدور في أبسط معانيه هو الجانب السلوكي للمكانة التي يشغلها الفرد في المجتمع.

ويتسم الدور بالدينامية والتعدد كما تؤثر على الدور عوامل متباينة، والشباب كفئة رئيسية من فئات المجتمع لهم أدوار متنوعة والبحث فيها بالغ التعقيد ومتعدد الجوانب بالنظر إلى طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادي ونوعية المعتقدات الايديولوجية والسياسية السائدة في مرحلة تاريخية معنية من مراحل النمو الاجتماعي، ولإدراك الأدوار الاجتماعية للشباب لابد من الرجوع إلى النظم الاجتماعية التي تلعب دورا رئيسيا في عملية اكتساب الشباب لأدوارهم الاجتماعية.

تعد العائلة من أهم النظم الاجتماعية المؤثرة في اكتساب الشباب لأدوارهم الاجتماعية بما تغرسه في مرحلة الطفولة من قيم ومثاليات وأنماط سلوك تسهم في تكوين الذات الاجتماعية، ولكن بتغير بناء الأسرة عما كانت عليه قديما تغيرت أيضا وظائفها وانعكس ذلك على طبيعة العلاقات بين أعضائها، فلم يعد الأب صاحب السلطة المطلقة وحل محله نوع جديد من العلاقة بين الآباء والأبناء تستند إلى الحب والاحترام، كما أن التوجيه القائم على التفاهم والاقناع حل محل السلطة المطلقة وبخاصة في مرحلة المراهقة، وأصبحت العلاقات أكثر إنسانية، فنحن نتحدث عن السلطة الأخلاقية للآباء وهي التي تحتاج إلى قدرات خاصة للاحتفاظ بها وجعلها وظيفة في توجيه الأنباء وإرشادهم وبخاصة في مرحلة المراهقة والشباب.

وكثير من الدراسات بنيت أن كثيرا من الآباء والأمهات يعتقدون أن دورهم في مرحلة الشباب والمراهقة لا يقل كثافة وعمقا وصعوبة عن ذلك الدور الذي قاموا به هم أنفسهم اتجاه أبنائهم في مرحلة الطفولة المبكرة، فمرحلة الشباب تحتاج من الوالدين خلق أسلوب جديد في تفهم حاجات أبنائهم ومطامحهم ورغباتهم، في مرحلة تتسم بخصائص نفسية واجتماعية مختلفة تماما. وهنا ينشأ صدام متكرر بين الآباء والأبناء الذين يمثل كل منهما جماعة ذات كيان اجتماعي ثقافي سيكولوجي خاص ومميز، ويكون هذا الصدام ناتج عن عدم قدرة كل جماعة على تفهم الجماعة الأخرى، ولذا ذهب الكثير من الدارسين إلى أنه يجب توجيه الآباء على

نحو يمكنهم من أداء دورهم خلال هذه المرحلة من مراحل نمو أبنائهم التي تختلف عن مرحلة الطفولة وتحتاج إلى مهارات خاصة يتعين أن تتوافر عند الآباء.

وهناك نظام آخر من النظم التي تسهم في اكتساب الشباب لأدوارهم الاجتماعية وهي المدرسة، ودورها يجب أن يناقش في ضوء المشكلات التي تواجه القيام به نتيجة تغير الأوضاع الاجتماعية، ومن الملاحظ أن التلاميذ اليوم يحصلون على المعلومات من مصادر متباينة متنوعة ليس للمدرسة أي سلطان أو رقابة عليها، كما لم يعد المعلم هو المصدر الوحيد للمعرفة، بل إنه في كثير من الحالات لا يستطيع أن يكون في نظر المتفوقين منهم المثل الذي يحتذى به، ومن الثابت كذلك أن السلطة الرسمية للمعلم أخذت تتناقص لدرجة لم يعد دوره يمنحه قدرا من النفوذ والتأثير كما كان الأمر قديما حينما كان المعلم يكاد أن يكون الشخص الوحيد الذي نال قسطا كبيرا من التعليم في المجتمع.

يوجد عامل آخر يؤثر بشكل حاد في التكوين النفسي للشباب وهو العلاقات الاجتماعية التلقائية داخل جماعات الرفاق، فهي تلعب دورا رئيسيا في عملية التوجيه التدريب والاجتماعي، وهي تشمل عددا من المنظمات والجمعيات غير الرسمية والأندية والروابط التي مهمتها تنمية الروح الاجتماعية بين الشباب.

فالشباب يكتسب في إطار هذه الجماعات اتجاهات وقيم وسلوكات في إطار طرق وأنماط تمضية أوقات الفراغ بينهم، فالنسبة الكبيرة من الشباب تفضل قضاء أوقات الفراغ في هوايات مشتركة مع رفاقهم، وهذا بالطبع ما يولد حسب علماء الاجتماع مفهوم ثقافة الشباب وهي تمثل ثقافة فرعية متميزة تنطوي على محددات متعارف عليها للمكانة الاجتماعية ومقاييس الهيبة ومعايير للقيادة وتتسم هذه الثقافة بالتنوع والتباين باختلاف الوسط الاجتماعي الذي تنشأ فيه.

يبقى بعد ذلك كله أن نناقش الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، وهي عامل أساسي في المجتمع المعاصر يكسب الشباب أدوارا اجتماعية وظيفية هامة.

فالانتشار الهائل لوسائل الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي أكثر من انتشار أي عامل آخر قد ترتبت عليه نتيجة هامة فيما يتعلق باستقلالية الشباب عن آبائهم ومعلميهم، وذلك بوصفها مصدرا للمعلومات متاحا ومتوفرا لكل شباب العالم تقريبا، وأصبح الشباب مساهما بشكل كبير في تحديد محتوى وشكل المادة التي تنشرها خاصة وسائل الاتصال الاجتماعي، عكس وسائل الاعلام التي ما زالت تقريبا حكرا على الكبار.

ولهذا وجب ترشيد السياسة الاعلامية في المجتمع فيما يتصل بالشباب بصفة خاصة على نحو يوفر لهم المعرفة الصحيحة وتدعيم القيم الايجابية التي تدعو إلى التكامل وتحث الشباب على المشاركة بفاعلية في تحمل المسؤولية الملقاة عليهم بوصفهم يمثلون القوة البشرية الكبرى في مجتمعنا. وهذا الدور يجب أن تقوم به الدولة وفق خطط توضع بعد دراسة تفصيلية دقيقة ترسم في ضوئها السياسة الملائمة في هذا المجال.